

الفصل السابع

في إطار العلاقات الدولية

علاقة المسلمين بغيرهم^(١):

معروف بين العلماء أن علاقة المسلمين بغيرهم هي علاقة مبنية على حسن الجوار وتبادل الخير والتعارف بين الشعوب بعيدا عن الهيمنة والسيطرة والاستعباد . يبين هذا قوله الله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ ۚ ﴾ [الحجرات: ١٣] . وقوله سبحانه: ﴿ لَا يَنْهَكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ تُخْرِجُوا مِنْ دَيْرِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة: ٨] .

تظل العلاقة علاقة بر وقسط ما ظل الآخر يحترم المسلمين وما دام لا يرفع شعار الحرب عليهم ، بل يحث الإسلام على هذا النوع من العلاقة فيبين أن الله ﷻ يحب من يتعامل بالقسط مع من لا يتمون إلى دينه وعقيدته وفي ذلك من الصعوبة ما لا يخفى على أحد^(٢) . إلى هنا تظل العلاقة مع الغير محمودة ، فإذا زادت على هذا الحد بحيث أصبحت علاقة حلف يكون المسلم فيها غرضا ، فإن تلکم العلاقة تخرج من إطارها الصحيح لتصبح موالاة منها عن بصريح النصوص حيث يقول تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٥١] ، و﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ

(١) قارن مع آثار الحرب في الاسلام ص ١٣٠ ، من كتاب العلاقات الدولية في الإسلام ، للدكتور وهبة

الزحيلي ، طبع مؤسسة الرسالة ١٩٩٧ .

(٢) انظر : الدكتور وهبة الزحيلي : العلاقات الدولية في الإسلام ، مبحث أصل العلاقات الخارجية

في الإسلام السلم لا الحرب ص ٩٣ .

في شئٍ ﴿[آل عمران: ٢٨]﴾. ولا يخفى على أحد أن لوازم الولاء هي المحبة والتأييد والنصرة.

الحالات التي يعتبر الإسلام التعرض فيها للناس إرهاباً :

بعد أن أشاد الإسلام بمبدأ السلام العالمي وجعل العلاقة بين الناس علاقة أمن وسلام واحترام ، وحيث إن الإسلام يعتبر الإنسان حراً ابتداءً وأنه لا يجوز بحال استعباده ، بغض النظر عن الدين والجنس واللون واللغة والوطن مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبَرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

ومن أجل أن يكون هذا التكريم حقيقة واقعية في الأرض ، وأسلوباً في الحياة ، كفل هذا الدين جميع الحقوق ، وفرض حمايتها وصيانتها . ويمكننا حصر هذه الحقوق فيما يلي :

١- حق الحياة :

هو حق يعتبره الإسلام مقدساً تحب صيانتها لجميع الناس بغض النظر عن الخصوصيات ، وعليه فقد اعتبر إزهاق الأرواح بغير حق ليس فقط جريمة ضد الإنسانية بالتعبير القانوني المعاصر ، وإنما هو تدمير للنوع البشري واستئصال له ، ما يجعل العقوبة كبيرة جداً ، قال عز وجل : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢] . ومن هنا نستخلص أن إزهاق الأرواح لا يمكن أن نجد لها مبرراً إطلاقاً ، ولا يمكن وصم من يقوم بذلك إلا بالإرهاب .

٢- حق حفظ المال :

كما عصم الإسلام الأنفس عصم الأموال ، ومن ثم فلا يجوز أخذ مال الغير بغير إرادته وبغير حق شرعي . يقول ﷺ : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ [النساء: ٢٩] . ويقول الرسول الأكرم ﷺ : «من أخذ مال أخيه يمينه ، أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة ، فقال رجل وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله ؟ فقال : وإن كان عود أراك»^(١) . ما ينبغي التنبيه إليه هنا أن الأمر لا يعني المسلمين وحدهم بل يتعداهم إلى غيرهم في الحالات العادية . فإذا كان الاحتياط إلى هذه الدرجة بين المسلمين فما بالك بما يتعلق بغير المسلمين ! فالإسلام بالغ في حفظ حقوق المواطنين غير المسلمين إلى درجة أنه اعتبر التخزين مالا ذا قيمة عندهم يضمه المسلم إذا أتلفه^(٢) .

٣- حق حماية العرض :

سن الإسلام حق حماية الأعراض منذ البداية ، وجعل من المحرمات التعدي على الأعراض مهما كانت الأسباب المؤدية إلى ذلك . وحتى لا يبقى إشكال فيما يتعلق بالحد الأدنى والأعلى لهذا الانتهاك ، فقد جعل الكلمة النابية حدا أدنى وجعل التعدي الجنسي حدا أعلى إذ ليس فوقه تعد . قال الله تعالى : ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١] . وقال : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ [النور: ٢] . ولأجل الحفاظ على الأنساب وإبقاء نقاء وصلاحية العنصر البشري ، شرع الإسلام الزواج كطريق شرعي طبيعي تشعب به الغرائز ، و في المقابل شرع الحدود الجزائية ذات العلاقة لحماية هذه

(١) الترمذي في التفسير (٢٩٣٨) .

(٢) انظر : الدكتور وهبة الزحيلي : العلاقات الدولية في الإسلام ، عقد الذمة ص ١٥٧ .

المؤسسة البشرية وردع كل من تسوّل له نفسه هدمها .

٤- حق صيانة الحريات :

أقر الإسلام مجموعة من الحريات ، ولأجل الحفاظ عليها سن قوانين صارمة ضد كل من يحاول انتهاكها مهما بلغت حجته في ذلك . نعد من هذه الحريات ؛ حرية العبادة ، حرية التفكير ، حرية التعبير . يجسد هذا المعنى كفاح الرسول ﷺ في المجتمع القرشي لتمكين أصحابه من حرية العبادة لله وحده . ثم أمره لهم بالهجرة بعد أن اضطهدهم القريشيون ومنعواهم من تأدية شعائر دينهم ، فقال لهم : « هاجروا إلى بلاد الحبشة فإن بها ملك لا يظلم عنده أحد »^(١) .

وبهذا يكون الرسول قد سنّ للمستضعفين في الأرض سنّة بها يحمون أنفسهم ويحافظون على عقائدهم . إنها الهجرة في سبيل الله . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الّٰمَلَكَةُ ظَالِمَةٌ لِّأَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٧] .

٥- حق العمل :

ضمن الاسلام حق العمل لكل مواطن ، وحث على ذلك بكل الوسائل ، فقد جاء في القرآن الكريم : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥] . وقال رسول الله ﷺ : « ما أكل امرء طعاما قط خير مما كسبت يده ، وإن نبي الله داوود كان يأكل من عمل يده »^(٢) .

(١) مجمع الزوائد ٦/ ٢٤-٢٧ ، وطبقات ابن سعد ١/ ١/ ١٣٦ ، ومن نور اليقين ص ٦٦ .

(٢) البخاري في الأُطعمة (١٩٣٠) .

٦- حق المأوى :

أكد الإسلام بالنص على حق المواطن في أن يأوي إلى أي مكان شاء ، في أي قطر أراد ، لأي سبب كان . ذلك أن منع التنقل في أرجاء الأرض يعتبر حجرا ، والحجر لا يميزه الإسلام إلا بمسوخ حقيقي . كالتعدي على الناس في مكان ما ، فيحجر على الشخص لسد ذريعة الخطر . قال الله سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٧] . هذه الغاية التي يعمل لها الإسلام من خلال المؤاخاة بين بني البشر على أساس التقوى والعمل فحسب هو هدف نبيل تعترف به كل الدول المتحضرة ولكنها تسعى جاهدة للوصول إلى تحقيقه بيد أنها ظلت وستظل عاجزة إلى الأبد ؛ لأنها تفتقر إلى عقيدة عالمية تكون دستور الأخوة البشرية . بل نجد أكثر الدول تحضرا تسن القوانين تلو القوانين لمنع الهجرة إلى بلدانها ، مع أن هذه الدول هي السبب في الفقر العالمي المتشرب بسبب حضرها على تصدير التكنولوجيا العلمية في مجالات التغذية ^(١) .

٧- حق التعلم والتعليم :

فرض الإسلام طلب العلم على كل مسلم ومسلمة دون تمييز ؛ لأن بالعلم وحده تستنير العقول ، وتهذب الأخلاق ، ويرقى الإنسان فيرتفع مستوى حياته . قال الرسول ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ^(٢) .

(١) انظر: موقع الأمم المتحدة والتقارير حول التنمية .

(٢) ابن ماجة في المقدمة (٢٢٠) .